مجلة التراث

ELT -R

2019/ Vol:9 N°03- 32

Available online at: http://www.asjp.cerist.dz

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323

تاريخ الإستقبال: 2019-11-07 | تاريخ التحكيم: 2019/12/20 | تاريخ قبول النشر: 2019-12-15

الاعتقاد عند المسلمين من منظور مقاصدي "إشكالية التصور والممارسة"

Article's title: Belief from a purposes perspective "the problematic of perception and practice for muslims"

الأستاذ عثمان كضوار، طالب دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شعيب الدكالي، المغرب .

مجلة التراث، العدد03-32 / ديسمبر2019، المجلد التاسع.

لتوثيق هذا المقال:

عثمان كضوار، الاعتقاد عند المسلمين من منظور مقاصدي " إشكالية التصور والممارسة "، **مجلة التراث**، العدد 32، المجلد التاسع، ديسمبر 2019.

EL TOURATH REVIEW, NUMBER 32-03/DECEMBER 2019, ninth FOLDER.

TO CITE THIS ARTICLE:

KADHOUAR Othmane, Article's title: Belief from a purposes perspective " the problematic of perception and practice for muslims", **EL TOURATH REVIEW**, number 32, ninth folder, December 2019.

ملخص:

تعكس ممارسات المسلمين التعبدية تصورهم و مرجعيتهم المذهبية من جهة ، كما تترجم قصورهم الذهني في استيعاب النصوص العقدية من جهة أخرى ، الشيء الذي يدعو إلى مقاربة تستدعي تقديم الموضوع بصورة يتداخل فيها السياق التاريخي بالواقع المعاصر ، حيث بات التسيب السلوكي باسم الحرية الفردية، والتحرر التعبدي باسم الفكر الصوفي ، والتعايش تحت مسمى المشترك الإنساني يؤشر على خلل في الاعتقاد ، وهي وضعية تدعو إلى القلق والتساؤل حول وضع المسلمين .

الكلمات المفتاحية:

الاعتقاد – التصور – الممارسة – المقاصد.

Abstract:

The muslims' worshipping practices reflect their perception and doctrinal background on one hand and their mental inability to understand the belief texts on the other hand. This calls for an approach which necessitates discussing the subject in a way in which the historical background and modern reality intermingle; giving way to perverse behaviour in the name of personal freedom , worship freedom in the name of sufi thought and coexistence in the name common humanity. If this has any indication, it means that there is a defect in belief. This situation calls for concern and wonder about the situation of muslims.

<u>Key words:</u>

Belief-Perception-Practice- Purposes.

مقدمة:

يعتبر الشرك من أكثر المفاهيم تداولا في كتب التفسير ، باعتبار حجم الآيات القرآنية التي وردت تحدد ماهيته وخطورته على الناس أجمعين فلا غرو أن نجد المفسرين من المسلمين قد استفرغوا الوسع في تحديد معناه وقضاياه وانعكاساته على الأفراد والمجتمعات ، كما بينت ذلك النصوص القرآنية والحديثية على اختلاف صيغها وطرق دلالاتها ، غير أن العديد من المسلمين لايزالون في لبس من حيث استيعابهم للمفهوم ، وذلك يظهر من خلال ممارساتهم التي تنم عن إشكالية حقيقية في التصور والاعتقاد لمعنى التوحيد ، مما أوقع العديد منهم في كثير من المخالفات العقدية مست جوهر الدين ، الشيء الذي يستدعي مقاربة شمولية للمفهوم ، بقدر الحاجة إلى تضافر الجهود من جانب المهتمين بالدراسات في بعدها العقدي من جهة إعادة النظر في طرق معالجة هذه الظاهرة العقدية .

لقد بات الفساد العقدي في الوقت المعاصر يشكل عائقا حقيقيا للنهوض بالمجتمعات الإسلامية ، إن على المستوى الاقتصادي عندما نتحدث عن مسألة التوكل والتواكل وأثرهما في تنمية المستوى الاجتماعي لدى الفرد والجماعة ، أو على المستوى الديني – وضمنه السياسي- عندما يتعلق الأمر بالدعوى إلى التعايش الديني تحت مسمى المشترك الإنساني ، حيث الانفتاح دون قيود أو ضوابط ، أو عندما يرتبط الأمر بالممارسات الأشبه بالطقوس ، من زاوية التعبد بطرق وردت النصوص صريحة بتحريمها ، أقصد بذلك الفكر الصوفي من خلال تياراته المنحرفة ، والتي باتت تشكل تهديدا خطيرا على السنة النبوية التي نرتضيها مرجعا تعبديا ومنهجا سلوكيا .

يأتي هذا المقال مساهمة مني في الكشف على ماسلف ذكره من المخالفات والمغالطات التي تمس العقيدة الإسلامية في صميمها ، **فماهي إذن مظاهر الشرك المعاصرة التي تعكس حقيقة إشكالية الفهم والممارسة عند المسلمين لمفهوم التوحيد والتعبد ؟** .

بداية أشير إلى الحكم الشرعي من الشرك ، حيث زلت عدة فرق كلامية في التعامل مع الآيات القرآنية الدالة على تحريمه ، وسأتناول الموضوع من منطلق قوله تعالى : : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (48) " النساء الآية 48 ، وقوله عز وجل " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا " – النساء الآية 116.

فالآيتان القرآنيتان من حيث مناسبتهما ارتبطتا بالمشركين والكافرين من أهل الكتاب ابتداء ، كما شملت غيرهم من أهل قريش ، فمن أشرك من أهل الكتاب من بعد ماتبين له الهدى والرشاد فقد " افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا" والافتراء كما هو معلوم لغويا يقصد به الكذب والبهتان ، أما أهل قريش فلم يعرفوا من قبل الوحي ، لذلك نعتوا بالضلال في سياق الآية الثانية " فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا " ، فالآيتان لهما ارتباط بالسياق ومن نزلت فيهم ، وهو ما نبه إليه الطاهر ابن عاشور في تفسيره ، حيث نفى بأن تكون الآية قد خصت اليهود وحدهم الذين أشركوا بقولهم عزير بن الله أو النصارى دون غيرهم بقولهم المسيح ابن الله ، كما أبطل – وغيره من أهل السنة والجماعة- تأويلات المعتزلة والمرجئة والخوارج في ما يتعلق بمرتكب الكبيرة وعلاقتها بالمغفرة كما هو معلوم ، قال رحمه الله : " فالآية صالحة لمحامل الجميع ، والمرجع في تأويلها إلى الأدلة المبينة ، وعلى هذا يتعين حمل الإشراك على معناه المتعارف في القرآن والشريعة المخالف لمعنى التوحيد ، خلاف تأويل الشافعي الإشراك بما يشمل اليهود والنصارى "[1] وذكر في ما بعد مايربر تفسيره من خلال موطن الآية القرآنية : " وعندي أن هذه الآية إن كانت مرادا بها

الإعلام بأحوال مغفرة الذنوب ، فهي آية اقتصر فيها على بيان المقصود ، وهو تهويل شأن الإشراك ...ولكنها نزلت بعد معظم القرآن ، فتعين أنها تنظر في كل ما تقدمها ، وبذلك يستغني جميع طوائف المسلمين عن التعسف في تأويلها كل بما يساعد نحلته" [2].

وبارتباط الشرك بالمغفرة من حيث السياق ، دل على كون المرء قد يقع في الشرك بوجه من الوجوه بقصد أو بدونه ، ورجاؤه في ذلك التوبة إبان وقوعه فيه حتى ينال مغفرته سبحانه وتعالى ، لذلك حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين منه من خلال تنبيه الصحابة إلى احتمال الوقوع فيه ، قال عليه الصلاة والسلام : " الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل ، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول : " اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم"[3].

ومن أدلة ذلك دعوة إبراهيم عليه السلام " وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ " سورة إبراهيم ، الآية 35. وعبادة الأصنام وجه من وجوه الشرك قديما ، يوجد في واقعنا المعاصر ما يعدله — من حيث الذنب – ويعادله من أنواع الشرك سنوضح معالمها لاحقا.

وبالعودة إلى قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ " نجد في الآية الكريمة تعميما وإطلاقا في الذنب ، وتعليقا وقيدا في المذنب ، عكس ما ذهب إليه المعتزلة في شخص عبد الجبار المعتزلي .

فقوله عزوجل " وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ " تعميم للكبائر والصغائر ، باستثناء الشرك ما لم يتب صاحبه ، فهناك إطلاق دون قيد التوبة ، وفي قوله " لمن يشاء " ورود التقييد والتعليق بمشيئة الله .

فالموحد المرتكب للكبائر يبقى تحت مشيئة الله ورحمته ، كما أن الصغائر تغتفر تلقائيا إذا ما اجتنب الموحد الكبائر ، من منطلق قوله تعالى " إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (31)" سورة النساء الآية 31. وقوله " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ" سورة النجم الآية 32.

فحاصل القول أن الآيتين – 48 و 116 – من سورة النساء ، اشتملتا على تعميم في الذنب وهو الشرك بالله تعالى ، وتقييد وتعليق في المذنب بمشيئة الله ، عكس ما زعم المعتزلة الذين وقعوا في منزلق خطير وتأويل منحرف بأن قيدوا قوله تعالى " وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ " بالتوبة ، فلو كان على زعمهم الأمر كذلك لسقط مقصود التفصيل من الآية ، فصار مرتكب الكبيرة والمشرك على حد سواء، وهذا ما وقعوا فيه ودافعوا عنه .

وبالتالي فالآية الكريمة " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ " مسقطة لفكر المعتزلة والخوارج والزيدية وغيرها ...

وأما قوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)" سورة الزمر ، الآية 53. فقد ورد تقييدها بالتوبة من خلال نصوص قرآنية في مواطن مختلفة من القرآن الكريم ، حتى يدفع التوهم عن كل من يعتقد تناقض القرآن مع بعضه ، كما هو حال الآيتين السالفتي الذكر .

بعد هذا التوضيح ، أود تسليط الضوء على مظاهر الشرك المعاصر من خلال ماذكره المختصون من تقسيمات للشرك ، تفرعت إلى ماله علاقة بالمعتقد و الأقوال والأفعال ، حيث زلت – اليوم – أقدام العديد من المسلمين ، أوقعتهم في مخالفات

شرعية توجب التوبة . وقد شكلت خطورة كبيرة على أسس العقيدة الإسلامية ابتداء وانعكاساتها على المجتمع الإسلامي انتهاء، ناهيك عن عواقبها الأخروية ، فإذا بطل الأصل ما سيترتب عنه لا يمكن أن يكون إلا كذلك ، كما أن الفرع يعود على الأصل بالإبطال إذا ثبت فساده وبطلانه .

المتأمل في خطاب المسلمين من جهة اعتقادهم بالله من حيث تصديقهم بحقيقة وجوده ، صفاته ، أسمائه ، يلمس جهلا عميقا ، يعكس بجلاء حاجة المسلمين إلى تصحيحهم للمفاهيم ، لأن فساد الفهم يفسد الممارسة ، خاصة في ما يتعلق بطرق تحصيل المعلومة وصولا إلى الحقيقة ، حقيقة الله من جهة طرق التعبد بأسمائه وصفاته والتوكل عليه، كما أن السؤال المشروع له ضوابط وحدود لا ينبغي تجاوزها.

فالمسلمون من العوام وإن كان انتماؤهم من الناحية المذهبية بعيدا عن أصحاب النحل الضالة ، إلا أن جهلهم أوقعهم في مهالك جعلتهم وأهل الضلال سواء من حيث العقاب ، فالله لا يعبد عن جهل ، والأصل أن يتحرى المسلم السبل العلمية السليمة بحثا عن الصواب ، باعتبار العقل مناط التكليف ، والمطلوب استثماره لبلوغ المبتغى ، وهو المنهج الذي سلكه إبراهيم عليه السلام حينما وجه سؤالا مشروعا من الناحية العقدية إلى المولى عز وجل قائلا : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " سورة البقرة ، الآية 260، فقد وردت أربعة أقوال كما أشار إلى ذلك القرطبي رحمه الله في سبب سؤال إبراهيم عليه السلام ، منها أنه سأل بغرض الحصول على عين اليقين، بعد أن توافر في قلبه علم اليقين ، ومنها أنه شك ليس على الوجه الذي يذكره الأصوليون بمعنى التوقف بين أمرين ولا مزية لأحدها على الآخر ، وإنما –كما ذكر الطبري – نقلا عن ابن عطية بسبب " الخواطر الشيطانية العارضة." [4]، واستدل على ذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيم"[5]، قال ابن حجر رحمه الله فيه: "وحمله أيضًا الطبري على ظاهره، وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان، لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت" [6] .

فإبراهيم عليه السلام مع صِدق إيمانه، يعرِض مسألة على ربه يريد بذلك دفع الخاطر الذي يلقيه عليه الشيطان مما ينافي الإيمان ، ليتخلص من الوساوس ويعانق الحقيقة التي لا تقبل الشك ، وفي ذلك تنبيه للمسلم الذي ينبغي عليه دفع كل ما من شأنه التشويش على فكره ومعتقده ، ليعرض ما التبس عليه إلى أهل الذكر حتى لا يضل فيتيه عن الحقيقة ، فيقع وسط دائرة الوهم الموصلة إلى الشرك من باب الجحود والإلحاد ، فذلك وجه من وجوه الاختلالات التي يعاني منها المسلمون على المستوى العقدي .

كما أن جوابه عن سؤال قومه كان يحمل مقصدا عقديا يكمن في إحداث خلخلة على مستوى التدبر والتفكير العقلانيين لدى قومه وصولا إلى صفات الله تعالى وحقيقة وجوده ، حيث كان جوابه بعدما اتهموه بتحطيم آلهتهم : " قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (65)" سورة الأنبياء الآية 63-65.

فالأولى بالفئة التي تقصد الأولياء والزوايا بغية التقرب إلى الله لقضاء مآربها أن تستوعب هذا الخطاب الرباني الذي أورده الحق سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام ، حتى أن قومه تحرجوا فنكسوا على رؤوسهم تعبيرا عن خجلهم جراء ما يعبدون ، لما

علموا حقيقة آلهتهم التي كانوا يتوهمون منفعتها فهي أصنام لا تجد حيلة لنفسها ، بالأحرى أن تجلب النفع أوتدفع الضر عن غيرها .

فحجج من يقصد اليوم الأضرحة وما يماثلها أشبه بتلك التي برر بها ماسلف من الأقوام الضالة عبادتهم للأصنام والأوثان قال تعالى : " وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)" الزمر الآية 3. مع إقرارهم بالله تعالى خالق السموات والأرض " وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ " الزمر الآية 38 ، فواقع فئة عريضة من المسلمين اليوم لا يختلف من حيث الاعتقاد على ماكانت عليه الأقوام السابقة ، من ذلك السؤال والتوسل بغير الله بدعوى التوسط في الدعاء للتقرب إليه سبحانه لغاية في نفسه.

فالشرك قديما يدخل في خانة الظلم من منطلق قوله تعالى " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " سورة لقمان الآية 13، واليوم دخل –الشرك – من باب الجهل ، قال تعالى " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً" الأحزاب:72.

فسواء جعل المرء لله ندا يعبده ، أو اتخذ له واسطة ، فقد ظلم نفسه بسبب جهله ، لأنه سلب حق الله ومنحه للغير .

فجاهلية العصر الحالي – أخطر من التي عرفها تاريخ العصر الجاهلي بتعبير محمد قطب ، حيث كانت " الجاهلية العربية جاهلية ساذجة قريبة الغور ، تعبد أوثانا محسوسة فجة ، وتمارس ألوانا من التصور وألوانا من السلوك، منحرفة نعم ، ولكنه انحراف ساذج غير عميق ....أما الجاهلية الحديثة فشأنها أوعر وأخطر وأعنف ، إنها جاهلية العلم ، جاهلية البحث والنظرية والدراسة ،.....جاهلية الكيد المنظم المدروس المخطط لتدمير البشرية ....جاهلية لا مثيل لها في التاريخ " [7]

فالجاهلية عند محمد قطب تفيد معنى " رفض الاهتداء بهدى الله ، ورفض الحكم بما أنزل الله " [8] وليس بالمفهوم الضيق لمعنى الجاهلية ، لقد بات معنى الجاهلية اليوم يمارس بالصورة القديمة إلى جانب ماعبر عنه محمد قطب بالمفهوم المعاصر ، فصار الإشكال العقدي قائما إلى جانب الإشكالات العلمية الداخلية والوافدة على الإسلام التي تفرضها نفسها بحدة .

فالتوحيد بأنواعه " الألوهية ، الربوبية ، الصفات ، الأسماء ..." لا يقبل القسمة أو الإهمال باعتباره أساس عقيدة المسلم ، وإلا وقع المسلم المكلف في التعطيل المؤدي إلى الشرك ، وإن كان الشرك كما نبه إلى ذلك ابن قيم من خلال كتابه " الداء والدواء " لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد ، وهذا هو واقع معظم المسلمين اليوم حيث إيمانهم بالله لكنهم مضيعون لحقه ، وقد صنف هذا النوع من الممارسة في القسم الثاني من الشرك و هو الأصغر، حيث تجد المسلم مؤمنا بالله وبصفاته وأسمائه ، غير أنه غير مخلص في ذلك من جهة العبادة والمعاملة من قبيل الرياء والتكبر ، والتوكل على غير الله وسوء الظن به، أو من جهة تقديس الشيوخ والعلماء... ، فكل ذلك يعكس ضعف إيمان المرء وعدم تقديره لله تعالى " مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" الحج: الآية 74.

ومن القضايا التي تحتاج إلى بيان ارتباطا بالموضوع ، طبيعة العلاقة التي باتت تربط بعض المسلمين بغيرهم من الغرب في يتعلق بمشاركتهم أفراحهم الدينية وفتح جسور التلاقح الثقافي دون حدود وقيود تحت مسمى المشترك الإنساني ، فتلك دعوة فاسدة

وحق أريد به باطل ، فشروط التعايش والتعاون جاءت صريحة في النصوص القرآنية والحديثية لا تحتاج إلى وضوح ، تحقيقا لخصوصية الدين الإسلامي الذي وجه للعالم أجمع ، وما تمليه الدوافع الإنسانية التي جبلت البشرية عليها .

أما رضى المسلم بانتهاك معتقداته والاستهزاء بها من طرف الغير من المشركين والكفار ، وإظهار ما يبدي تفاعله مع معتقداتهم ، فذلك أمر موقع لا محالة في مخالفات عقدية خطيرة ، أخذت بدورها نقاشا وتفسيرات من منطلق قوله تعالى : " وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ " النساء: الآية 140 .

وقوله تعالى : " وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ " هود : الآية 113.

ففسر الجصاص في كتاب " أحكام القرآن " قوله تعالى" إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ" بقولين نقلا عن غيره : أحدهما: في العصيان، وإن لم تبلغ معصيتهم منزلة الكفر.

والثاني: إنكم مثلهم في الرضا بحالهم في ظاهر أمركم، والرضا بالكفر والاستهزاء بآيات الله تعالى كفر. ولكن من قعد معهم ساخطًا لتلك الحال منهم، لم يكفر، وإن كان غير موسع عليه في القعود معهم.

أما البيضاوي ، فقد جعل التساوي بين الكافر والمسلم في هذا المقام منصرفا إلى الإثم ، لقدرة المسلمين على الإعراض عنهم والإنكار عليهم .

وذهب البعض إلى أن الرضا بالكفر مع استقباحه ليس بكفر، وإنما يكون كفرًا مع استحسانه .

فما يصطلح عليه اليوم بحوار الأديان أو حوار الثقافات والحضارات ،حيث الجلوس على طاولة المناظرة والحوار بحثا عن التقارب والتعامل المحقق لمفهوم التعاون بلغة النص القرآني " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" سورة الحجرات، الآية 13، يحتاج إلى ضوابط و نوايا حسنة بعيدا عن كل مرجعية أو إيديولوجيا مبيتة ، إذ صار هذا النوع من الانفتاح يستغل بالاستعانة بأبناء جلدتنا من المفكرين الإسلاميين للإطاحة بالإسلام كدين لما أصبح يشكله من خطورة على باقي الديانات الأخرى، ألحق ضررا كبيرا بالمسلمين وبالعلاقات الإنسانية عامة ، الأمر الذي يستدعي تصحيحا يعود بهذه المعادلة إلى وضعها الأصيل.

فالحوار مع غير المسلمين يتحدد في كونه وسيلة موصلة للحقيقة ، تحمل في طياتها وظيفة ذات أبعاد ودلالات تنطلق من مفهوم واحد هو العبودية لله سبحانه وتعالى وليس الانسلاخ والذوبان في عقيدة الآخر وثقافته ، تقول الدكتورة مريم ايت أحمد في هذا الصدد : " الإسلام يرى في فتح مجال الحوار بين البشر بدل القطيعة والتباعد هدفا ساميا للحفاظ على مفهوم التعبد."[9].

خلاصة :

حاصل هذه المساهمة العلمية أن المسلمين اليوم ارتباطا بالموضوع سالف الذكر في أمس الحاجة من الناحية التصورية أولا إلى استيعاب مفهومي التوحيد والشرك من زاوية الرؤية القرآنية من خلال السياقات الواردة ضمنه حيث الحاجة إلى استحضار الدقة اللغوية ، للكشف عن المعنى الحقيقي للألفاظ ، لذلك نجد على سبيل الذكر من يخلط بين الكفر والشرك ، في حين أن الكفر أعم من الشرك ، والشرك جزء من الكفر ، فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا قال تعالى : " قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) " الكهف الآية 37.

كما أن من مستلزمات الإيمان الصحيح أن يستوعب المسلم معاني التوحيد ومجالات الشرك ، حيث تتعدد وتتلون مظاهره من حقبة إلى أخرى ، وكل ذلك موقع في الكبيرة ، بالإضافة إلى التبصر بحقيقة العبادة من حيث الممارسة ، لارتباطها بالعقيدة الصحيحة ومترجمة لها ، وهذا ما قصدته من خلال عنواني إشكالية التصور والممارسة.

-الهوامش :

1-التحرير والتنوير: ص 82-83 ، الجزء الخامس .

2-نفسه ص 83.

3- صحيح الجامع : الحديث رقم 3731، صححه الألباني .

4-جامع البيان : الجزء الثالث ، ص 194.

5-صحيح البخاري : الحديث رقم 3372 ، صحيح مسلم : كتاب الإيمان – باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة - الحديث رقم 572.

6-فتح الباري : ص 474، الجزء السادس .

7-جاهلية القرن العشرين : ص 8-9.

8-نفسه : ص11.

9- جدلية الحوار "قراءة الخطاب الإسلامي المعاصر " : ص39.

-لائحة المصادر والمراجع :

1-جامع البيان في تأويل القرآن : لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

2- صحيح البخاري : لمحمد بن إسماعيل البخاري ، المحقق: محب الدين الخطيب - محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها ، 1400هـ – 1980م.

3- صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه

4- فتح الباري شرح صحيح البخاري : لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379.

5- صحيح الجامع الصغير وزيادته - الفتح الكبير-: لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة : الثالثة . ، سنة النشر: 1408هـ – 1988م.

6- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد المعروف بالتحرير والتنوير: لمحمد الطاهر ابن عاشور، الناشر : دار سحنون للنشر والتوزيع ، 1418هـ - 1997م.

7- جاهلية القرن العشرين : لمحمد قطب ، الناشر: دار الشروق الطبعة: 1408هـ-1988م.

8-- جدلية الحوار "قراءة الخطاب الإسلامي المعاصر " دة. مريم ايت أحمد ص39، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء الطبعة الأولى، 2011م.

كل الحقوق محفوظة

العدد 3-32/ ديسمبر 2019 . المجلد السابع